تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وكلام من تكلم قبله والمقصود بالكلام
هو فهم مراد المتكلم سواء كان لفظه يدل على المعنى وهو الحقيقة او لا يدل
الا مع القرينة وهو المجاز فليس لاحد ان يسمي الجوهر القائم بنفسه عقلا ثم يحمل
عليه كلام النبي صلى الله عليه وسلم ومعلوم بالاضطرار لمن يعرف لغة النبي
صلى الله عليه وسلم والمسلمين الذين يتكلمون بلغته ان هذا ليس هو مراد النبي
صلى الله عليه وسلم في اسم العقل فليس هذا مراد المسلمين باسم العقل ولا
يوجد ذلك في استعمال المسلمين وخطابهم فاذا كان كذلك لم يجز ان يتمسكوا
ليثبتوا من كلام الرسول الذي فيه لفظ العقل لو كان ثابتا على اثبات الجوهر
الذي يسمونه عقلا ومن تدبر ما يوجد من كلام المسلمين عامتهم وخاصتهم
سلفهم وأئمتهم وفقهائهم ومحدثيهم وصوفيتهم ومفسريهم ونحاتهم ومتكلميهم
لم يجد في كلام احد منهم لفظ العقل مقولا على ما يزعمه هؤلاء من المتفلسفة
ولا على ما يقال انه ملك من الملائكة ولا يسمون احدا من الملائكة عقلا ولا الله
تعالى عقلا وانما اخذ ذلك عن الفلاسفة هذا مع انه مذكور في كتب الاصول
والكلام في ذلك فيه من النزاع اقوال كثيرة تنازع فيها اهل الكلام واهل
النظر المنتسبين الى الاسلام ثم ان قول المتفلسفة عندهم قول آخر واعلم
ان المقصود في هذا المقام ان لفظ العقل لا يعبر عن جوهر قائم بنفسه لا عن ملك
ولا غيره في عبارة رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه والتابعين
وسائر علماء المسلمين فلا يجوز ان يحمل شيء من كلامهم المذكور فيه لفظ العقل
على مراد هؤلاء المتفلسفة بالعقول العشرة ونحو ذلك فينقطع دابر
من يجعل لهم علقة في الشريعة من هذا الوجه ثم بعد هذا النزاع بين
الناس في فرعين احدهما ان العقل الذي هو الانسان ما هو الثاني ان ما
يعنيه الفلاسفة بلفظ العقل هل له وجود ام لا وقد ذكروا في كتب
الاصول النزاع في ذلك جملة كما يذكره القاضي ابو بكر بن الباقلاني والقاضي
ابو الطيب والقاضي ابو يعلى وابو الوفاء ابن عقيل وابو المعالي

الجويني

١٨

الجويني وابو الخطاب وابو الحسن ابن الزاغوني والقاضي ابو بكر بن العربي
المعافري واكثر اهل الكلام فان هؤلاء يختارون ان العقل الذي هو مناط
التكليف هو ضرب من العلوم الضرورية كالعلم باستحالة اجتماع الضدين
وكون الجسم في مكانين وتنقصان الواحد عن الاثنين والعلم بموجب
العادات فاذا اخبره مخبر بان الفرات يجري بدراهم لم يجوز صدقه ومن
اخبر بنبات شجرة بين يديه وحمل ثمره وادراكها في ساعة واحدة
لا ينتظر لها كل مدة واذا اخبر بان الارض تنشق ويخرج منها فارس بسلاح
يقتله لا يهرب فزعا فاذا حصل له العلم بذلك كان عاقلا ولو من التكليف
ثم قد نقل عن طوائف من الائمة والعلماء ما يقتضي انه القوة التي يعقل بها ومن
طوائف ما يقتضي انه قد يكون مكتسبا فروى ابو الحسن التميمي عن ابراهيم
في كتاب العقل عن محمد بن احمد بن مخزوم عن ابي الحسن التميمي الحربي عن
احمد بن حنبل انه قال العقل غريزة والحكمة فطنة والعلم سماع والرغبة
في الدنيا هوى والزهد فيها عفاف وقد فسر القاضي ابو يعلى ذلك بان
قوله غريزة انه خلق لله ابتداء وليس باكتساب ٣ انما هو فضل من الله — ٣ وذكر عن ابي محمد البربهاري انه قال ليس العقل باكتساب صح
وذكر عن ابي الحسن التميمي انه قال في كتاب العقل العقل ليس بجسم ولا صورة
ولا جوهر وانما هو نور فهو كالعلم وعن بعضهم انه قال هو قوة يفصل بها
بين حقائق المعلومات وعن ابي بكر بن فورك انه قال هو العلم الذي يمتنع به
عن فعل القبيح وعن بعضهم انه ما حسن معه التكليف ثم قال القاضي ومعنى ذلك
كله متقارب ويكون ما ذكرناه اولى لانه مفسر خلافا لما حكي عن قوم من
الفلاسفة انه اكتساب وقال قوم هو عرض مخالف لسائر العلوم والاعراض وعن
قوم هو مادة طبيعية وقال الآخرون هو جوهر بسيط قلت وبعض هذه الاقوال
التي حكاها هي نحو من الاقوال التي جعلها متقاربة فان من قال هو العلم الذي
يمتنع به من فعل القبيح لم يحد العقل الذي هو مناط التكليف الذي يفرق به بين
العاقل والمجنون الذي حدوه هم وجعلوه ضربا من العلوم الضرورية بل هذا
هذا العقل هو من مناط النجاة والسعادة وهو من العقل الممدوح الذي صنف

Copyright © King Saud University